وتركِ توهين القرآن وترك صفة السِّرحان، وأما اللعنة فلا يرد عليهم إلا عند إعراضِهم عن الجواب، ومع ذلك عدمِ امتناعهم عن الشتم والسبّ والقدح في كتاب رب الأرباب رب العالمين.

واعلم أنّ كل من هو مِن وُلْدِ الحلال، وليس من ذرّية البغايا ونسل الدجال، فيفعل أمرًا من أمرين: إمّا كفُّ اللّسان بعدُ وتركُ الافتراء والمَين، وإما تأليف الرسالة كرسالتنا وترصيع المقالة كمقالتنا، ولكن الذي ما ازدجر من القدح في بلاغة القرآن، وما امتنع من الإنكار من فصاحة الفرقان، فعليه كل ما قلنا وكتبنا في هذا القرطاس، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

فَلْيَقُلْ القَوْمُ كلُّهم آمين آمين آمين.

القصيدة في فضائل القرآن وشأن كتاب الله الرحمن

لَمَّا أرى الفرقانُ مَيْسمَه تردَّى مَن طغى | مَن كان نابغَ وقتِه جاء المواطنَ ألثغَا

وإذا أرى وجهًا بأنوار الجمال مُصبَّغا فدَرَى المعارضُ أنه ألغى الفصاحة أو لغا
من كان ذا عينِ النهى فإلى محاسنه صغى إلا الذي مِن جهله أبغى الضلالة أو بغى
عينُ المعارف كلّها آتا ه حِبٌّ مُبتغى لا يُنبئنّ ببحره الزخّار كلبًا ولغا
اِقْبَلْ عيونَ علومه أو أَعرِضَنْ مُستولِغا واتْبَعْ هداه أَوِ اعْصِه إن كنتَ مُلْغًى مُتّغا
ما غادرَ القرآنُ في الميدان شابًا بُرْزَغا قتَل العِدا رعبًا وإن بارى العدوّ مُسبَّغا
قد أنكروا جهلاً وما بلغوه علمًا مَبْلغًا حتى انثنَوا كالخائبين وأضرموا نار الوغى
نورٌ على نور هُدًى، يوما فيوما في الثغا مَن كان مُنكِرَ نوره قد جئتُه متفرّغا
فيها العلوم جميعها وحليبُها لمن ارتغى فيها المعارف كلها وقليبُها بل أبلغا
أعطى الورى بدِلائه ماءً مَعينًا سيِّغا أروى الخلائقَ كلهم إلا لئيمًا أبْدَغا
مَن جاءه متبخترًا وأرى مُدًى أو مِبْزَغا فتراه مغلوبا على تُرْبِ الهوان ممرَّغا
سيفٌ يكسّر ضرسَ مَن بارى وجاء مُثَغْثِغا أسدٌ يمزّق صولُه إن رَاغَ جملٌ أو رغا
ويلٌ لِكَفّارٍ لديغٍ لا يفارق مَلدَغا ويل لمن بزَغتْ له شمس فعادى مَبْزَغا
مَن فرَّ من فيضانه الأعلى ومما أفرغا ما كان قلبًا تائبا بل كان لحمًا أسْلَغا

وأمّا قول المعرض الفتّان أن "ذو مِرَّةٍ" اسم الشيطان، وقال أن المِرّة هي مادة الصفراء، وباطل كل ما يخالفه من الآراء، فهذا كلّه

كذب ودجل وتلبيس، ونعوذ بالله من الدجّالين المفتّنين. بل الأمر الصحيح الذي يوجد نظائره في كلماتِ بلغاء لسان العرب ونوابغ ذوي الأدب، أن أصل المِرّة إحكامُ الفَتْل وإدارة الخيوط عند الوصل، كما قال صاحب تاج العروس شارح القاموس، ثم نقلوا هذا اللفظ من الإحكام والإدارة إلى نتيجته.. أعني إلى القوة والطاقة، فإن الحبل إذا أُحكِمَ فَتْلُه فلا بد من أن يتقوّى بعد أن يُشَدّ ويُسَوَّى، ويكون كشيء قويّ متين. ثم نُقِلَ منه إلى العقل كنقل الحقل إلى الحقل، لأن العقل طاقة تحصل بعد إمرار مقدمات وإحكام مشاهدات تُجَلِّيها* الحسُّ المشترك من الحواسّ بإذن ربّ الناس وأحسن الخالقين. ثم نُقل هذا اللفظ في المرتبة الرابعة إلى مزاج من الأمزجة.. أعني الصفراء التي هي إحدى الطبائع الأربعة، لشدّة قوتها ولطافة مادتها، ولكونها مصدرَ أفعال قويّة وموجبًا لجُرأةٍ وشجاعة وكلِّ أمر يخالف عاداتِ الجبان ويوافق سِيَر الشجعان، فتفكَّرْ إن كنتَ من الطالبين.

وأما نظيره في أشعار بُلغاء الجاهلية ونبغاء الأزمنة الماضية، فكفاك ما قال امرؤ القيس في قصيدته اللاميّة:

دَرِيرٍ كخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ ... تَتابُعُ كَفَّيْه بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

وكذلك بيت لعمرو بن كلثوم التغلبي الذي هو نابغ في اللسان العربي، وقال في القصيدة الخامسة من السبع المعلقة، ونحن نكتبه نظيرًا لمعنى الإدارة، وهو هذا:

---

* سهو، والصحيح: "يجلّيها". (الناشر)

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحِيحَ إذا أُمِرَّتْ عليه لما له فيها مهينَا

ومن عجائب لفظ المِرّة اشتراكُه في العربية والهندية في معنى الإدارة وإحكام الفتل بالمبالغة، فإن الهنديين يقولون للإمرار: "مَرَورنا" كما لا يخفى على الهنديين. وهذا ثبوت صريح من غير شائبة المَين لاستخراج أصل حقيقة الذي هو دائر بين اللسانَين، وفيه نكتة تسرّ المحققين.

وأمّا لفظ **ذِي مِرَّة** بمعنى العقل، فإن كُنْتَ تطلب منّا نظيره مع تصحيح النقل، فاعلم أن صاحب تاج العروس شارح القاموس فسّر لفظ ذي مِرّة بمعنى ذي الدهاء، وقال/ يُقال إنه لَذُو مِرَّة أي عقلٍ في مَثَلِ العرب العرباء. وإن لم يكفِك هذا المثل مع أنه هو الأصل، وتطلب منّا نظيرًا آخر من الأيام الجاهلية والأزمنة الماضية، فاقرأْ هذا البيت من صاحب القصيدة الرابعة من السبع المعلّقة، وكان من نبغاء الزمان وفي البلاغة إمام الأقران، وزاد عمره على مئة وخمسين، وهو هذا:

رَجَعا بِأَمرِهِما إلى ذي مِرَّةٍ حَصِدٍ وَنُجْحُ صَرِيمةٍ إِبرامُها

واعلم أن هذه القصائد معروفة بغاية الاشتهار كالشمس في نصف النهار، وقد أجمع كافة الأدباء وجهابذ الشعراء على فضلها وكمال براعتها، واتفق عامة البلغاء على حسنها ونباهتها، واختارها الحكومة الإنكليزية لطلباء مدارسها وسُبقاءِ كواجها وشرباء

كَيالِجها لتكميل القارئين، ولا ينكرها إلا الذي مِثلك غبي وشقي كعمين.

هذا ما أوردنا لإلزامك وإفحامك من نظائر المتقدمين وكلام المشهورين المقبولين. وأمّا ما يظهر من سياق كلام الله وسباقه ومِن عقدِ درٍّ حِقاقِه، فهو طريق أقرب من ذلك للمسترشدين. فإنه تعالى كما وصف روح القدس بقوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾، كذلك وصفه في مقام آخر بذي قوة فقال: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾◎، فقوله في مقام ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ وفي مقام ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ شرحٌ لطيف بأفانين البيان، وكذلك جرت سُنّة الله في القرآن، فإنه يفسّر بعضَ مقاماته ببعض آخر ليزيد الاطمئنان، وليعصم كتابه من تحريف الخائنين.

ولقد ذكر الله تعالى في كتابه المحكم وسِفره المكرم صفاتٍ أخرى للروح الأمين، وبيّن عبارته وصدقه وأمانته وقُربه من رب العالمين. فلا يحسبه شيطانا إلا الذي هو شيطان لعين.

ومن اعتراضات هذا العاصي الغافل عن يوم يؤخذ المجرمون بالنواصي، أنه يظنّ كأنّ القرآن أخطأ في بيان مذهب النصارى وعقائدهم، وما فهِم مقصد عمائدهم، وعزا إليهم ما يخالف عقيدة المسيحيين.

فاعلم أنّ بيانه هذا بهتان عظيم وكذب مبين، والحق أن القرآن لما جاء كانت النصارى فرقا متفرقين، فبعضهم كانوا يعبدون

◎ *التكوير: ٢١*

المسيح، وبعضهم معه أُمَّه، وبعضهم كانوا يسجدون لتصاويرهما ويعبدونهما كعبادة رب العالمين. وكان اللجاج بينهم قد احتدّ والحِجَاج قد اشتدّ، وكان كلّهم قومًا ضالّين، إلا قليلا منهم كانوا موحِّدين مع بدعات أخرى وكانوا كالعمين. فبيّن القرآن ما رأى وبَكَّتَهم وسَكَّتَهم ببيان أجلى، وقال أنتم تعبدون إنسانا من دون الله الأغنى، وما تعبدون ربكم الأعلى، فما برّءوا أنفسهم بل سكتوا كالمفحَمين المُقِرّين. فوقعت عليهم الحجة وقام البرهان وثبت أنهم كانوا يعتقدون كما بيّن القرآن وكانوا مشركين. ثم جاء بعدهم قوم آخرون من النصارى وقرأوا كتب الفلسفة فبُهتوا وصاروا كالسكارى، ورأوا أنفسهم في الشِرك كالأسارى، فتأسّفوا على مذهبهم متندمين. ففكَّروا لإصلاح ما فسد وترويج ما كسد، فقُتلوا كيف فكّروا وذُكِّروا وما بدّلوا إلا حُلَلَ المقال مع اتحاد المآل، فتَعْسًا لقوم ظالمين. وغَشِيَهم ما غَشِيَهم من آفات الضلال، وتلاقَوا في مآل الأقوال، وما كانوا مستشفّين. أسخطوا المولى ليُرضوا عبيده، ونسوا وعيده ومواعيده، ونبذوا وراءَ ظهورهم تعليم النبيّين. ولا شك أنهم اتخذوا عيسى إلهًا من دون رب العالمين، وهو عندهم مالك يوم الدّين. ويقولون لا أثر يومئذ معه من البشريّة، مع كونه مجسَّمًا ومركّبًا من العظم واللحم كالآدميين. هذه عقيدتهم وعقيدة الذين غلَّسوا قبلهم في مبادئ الأيّام أمام أعين الإسلام، ثم في هذا الزمن انفتحت أعينهم وقلّت ظلمتُهم بما شاعت فيهم العلوم العقلية

والحِكم الفلسفية، فرأوا سَوءةَ مذهبهم واستحالة مطلبهم، فبادروا إلى التأويلات مخافةً من الملامات والتشنيعات، وتخوّفًا من كلمات المستهزئين، لأن الفطرة الإنسانية تأبى من قبول هذه العقيدة الدنيّة، والخرافات الرديّة، التي هي بديهة البطلان عند الرجال والنسوان، خصوصًا في هذه الأيام التي مالت العقول السليمة إلى التوحيد، وهبّتْ من كل طرف رياحُ التنـــزيه لله الوحيد، وكسدتْ سُوقُ المشركين. فأنّى لهم أن يخفوها بعد إظهارها ونشرها وإزاحة قشرها؟ أيُخفون أمرًا أُشيعَ في البلاد والأرضين؟ ومثلُ الذين بدّلوا الطيبات بالخبيثات وتركوا الحسنات وبادروا إلى السيئات ولا يتقون الله في إخفاء العثرات وتأويل الخرافات، كمثل رجلٍ كان يأكل البُرازَ مِن مدة مديدة، ويحسبه من أغذيةٍ لطيفةٍ جديدةٍ، ولا يتنبّه على أنه رجس وقذر لا من أطعمة الآدميّين، فلاقاه رجل لطيف نظيف ومع ذلك زكي وظريف، فرآه يأكل الغائط فأنّبه كما يؤنّب الحَكَمُ المايطَ، وقال ما تفعل ذلك؟ أتأكل البراز يا بُرازَ الخبيثين؟ فتندّمَ وفكّرَ في نفسه كيف يزيح برص هذه الملامة، وكيف ينجو من شناعة الندامة، فنَحَتَ جوابا كالذين يرون أُجاجَهم كماء مَعينٍ، وقال إني ما آكل البراز، وما كنتُ أن أحتاز فما أبالي الإفزاز، وما أوعزتُ إلى هذا الأمر الذي هو أكبر المكروهات، وإن هو إلا تهمةُ مَذّاعٍ ذي البهتانات وإني من المبرَّئين. وإن العدوّ ما عرف الحقيقة ونسِي الطريقة، فإني آكل أجزاءً غذائية التي تنفصل من الهضم

الْمَعِدي بإذنِ خالق الأشياء، وتدفعها الطبيعة إلى بعض الأمعاء، فتخرج من المَبرز المعلوم مع قليل من الصفراء، فهذا شيء آخر وليس ببراز كما هو زعم الأعداء، بل هو غذاء أُعِدَّ لمثلنا الطيّبين.

فاتقوا هذا المثال وفكِّروا في سوانح المسيح وفيما قال. وكل ما قال عيسى نبي الله فهو طيب، ولكن تعسًا للذي لا يفهم الأقوال. وإنّا نبكي على حال الظالمين والمؤذين الكاملين، بل ندعو الله أن يهديهم ويرحمهم وهو خير الراحمين. ووالله إنّا لا نضحك بل نبكي على حالكم أنكم تسترون الأمر وتتكلّفون أيها الجائرون. ما لكم لا تفهمون؟ وإنّا نُريكم فلا تنظرون، ونعطيكم فلا تأخذون، وتفترون الكذبَ ولا تستحيون، وأيقظَكم الموقظون فلا تستيقظون. ألا تتقون الذي إليه تُرجعون، أو ظننتم أنكم من المتروكين؟

وقد قلتُ آنفا إن القرآن ما بيّن حال النصارى على نهج واحد، بل جعل بعضهم على بعض كشاهد، وقال إن بعضهم يعبدون المسيح ويتخذونه إلهًا عمدًا، وبعضهم يعبدون معه أُمَّه ويحمدونها حمدًا، وفيهم فرقة قليلة يعبدون الله ويحسبونه رحيمًا ورحمانًا، ويحسبون المسيح بشرًا وإنسانًا، وهذه الفِرق الثلاثة كانوا في عهد نبيّنا ﷺ موجودين، والقرآن قُرِئَ عليهم إلى قرون ومِئِين، فما قال أحد منهم أن القرآن يعزو إلينا ما يخالف عقائدنا وتعاليم عمائدنا، ولا يفهم سرَّ أقانيمنا، ويخطئ في بيان تعاليمنا. وإن كنتَ تظن أنه قال أحد كمثل هذه الأقوال، أو وجدتَ كتابا شاهدا على هذا

المقال، فأَخْرِجْ لنا كتابك إن كنت من الصادقين. وإن لم تستطع فاتق الله ولا تتّبع آراء قومٍ فاسقين.

واعلموا أنكم قد فهمتم في أنفسكم في هذا الزمان الذي هو زمان التدبّر والإمعان، أن عقائدكم خرافات وفيها آفات، وتضحك عليكم الصبيان والنسوان، فتريدون أن تلقوا عليها رداء التأويلات لعلكم تخلصون من الملامات، ومِن لعن اللاعنين؛ فزيّنتم الباطل لتدحضوا به الحق وكنتم قومًا مسرفين. وأمّا خُبث عقائدكم فليس شيء يخفى على الناس، أو يخفى مِن عينِ كَيِّسٍ ذي الفهم والقياس. ألستم تعبدون عيسى في هذا الزمان كما كنتم تعبدون في أيام نزول القرآن؟ ألستم تمجّدونه وتقدّسونه وتعظّمونه كمثل إله العالمين؟ ألستم تقولون إن كل أمر فُوِّضَ إلى عيسى، وهو الله في الأولى والأخرى، وهو الذي تُرجَعون إليه وتحضرون لديه، ويحكم بينكم كملِكٍ أكرم وأعظم، وتعرفونه بصورته أنه ابن مريم؟ فموتوا ندامةً يا معشر المشركين! وكيف تُخفون شِرككم وقد ظهرت الأسرار وبدت الأخبار، وأشعتم عقائدكم بالاستعجال وزففتم زفيف الرال. وإنّا عرَفناكم وعرفنا الكيد والفنَّ، فكيف نحسن بكم الظنَّ، بعدما كنا عارفين؟ إنكم قوم تُضلّون الناس بتلبيساتكم ليميلوا إلى جهلاتكم، ويقبلوا خزعبلاتكم ويجيئوكم كمسحورين. وإنّا سمعنا منكم سبَّ نبيِّنا مع الافتراء والمَين، وأُحْرِقْنا بالنّارَين، وما نشكو إلا إلى الله وهو خير الناصرين.